

تفسير القرآن الكريم

٢٤ سورة الحجر ١٨-١٠-١٤٠

دراسات الأستاذ:
مهدي الهادي الطهراني

سورة الحجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ
(١)

سورة الحج

رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا
مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾

سورة الحجر

ذُرُّهُمُ يَأْكُلُوا وَ يَتَمَتَّعُوا وَ يُنْهَمُّ
الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

سورة الحجر

وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا
كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا
يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٥﴾

سورة الحجر

وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ
الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾

سورة الحجر

لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَأِكَةِ إِن كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾

سورة الحجر

مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ
مَا كَانُوا إِذَا مُنظَرِينَ ﴿١﴾

سورة الحج

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾

سورة الحجر

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِبَعِ
الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا
بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾

سورة الحجر

كَذَلِكَ نَسُكُّهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ
(١٢)

لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ قَدْ خَلَتْ سُنَّةُ
الْأَوَّلِينَ (١٣)

سورة الحجر

وَأَوْفَقْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ
فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾

لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ
نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

سورة الحجر

وَ لَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَ
زِينَاتٍ لِّلنَّازِحِينَ ﴿١٦﴾

سورة الحجر

وَ حَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ
(١٧)

إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ
شَيْهَابٌ مُبِينٌ (١٨)

سورة الحجر

وَ الْأَرْضَ مَدَدْنَا هَا وَ الْأَقْيَنَا فِيهَا
رَوَاسِي وَ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾

سورة الحج

وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَ مَن
لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾

سورة الحجر

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ
وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ
(١١)

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• و قوله «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ»
 فخرائن الله مقدوراته، لأنه تعالى يقدر ان
 يوجد ما شاء من جميع الأجناس، فكأنه قال:
 و ليس من شيء إلا و الله تعالى قادر على ما
 كان من جنسه الى ما لا نهاية له.

وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ

• و قوله «وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ» اى
 لَسِيْتَ اَنْزَلَ مِنْ ذَلِكَ الشَّيْءَ «إِلَّا بِقَدَرٍ
 مَّعْلُومٍ» اى مَا يَصْلِحُهُمْ وَ يَنْفَعُهُمْ دُونَ مَا
 يَفْسِدُهُمْ وَ يَضُرُّهُمْ، حَسَبَ مَا سَبَقَ فِي
 عِلْمِي.

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• قوله تعالى: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نَنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» الخزائن جمع خزانة و هي مكان خزن المال و حفظه و ادخاره، و القدر بفتح تحتين أو فتح فسكون مبلغ الشيء و كميته المتعينة.

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• و لما كانت الآية واقعة في سياق الكلام في الرزق الذي يعيش به الإنسان و الحيوان كان المراد بالشيء الموصوف في الآية النبات و ما يتبعه من الحبوب و الثمرات فالمراد بخزائنه التي عند الله و هو ينزل بقدر معلوم المطر النازل من السماء الذي ينبت به النبات فيأتي بالحبوب و الأثمار و يعيش بذلك الإنسان و الحيوان هذا ملخص ما ذكره جمع من المفسرين.

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• ولا يخفى عليك ما فيه من التكلف فتخصيص ما في قوله: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ» من العموم وحصره في النبات من تخصيص الأكثر من غير شك و المورد لا يخصص و أردى منه تسمية المطر خزائن النبات و ليس إلا سببا من أسبابه و جزء من أجزاء كثيرة يتكون النبات بتركيبها الخاص، على أن المطر إنما تتكون حينما ينزل فكيف يسمى خزائنه و ليس بموجود و لا أن الذي هو خزائنه موجود فيه.

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

- و ذكر بعض المفسرين أن المراد بكون خزائن كل شيء عند الله سبحانه شمول قدرته المطلقة له.
- فله تعالى من كل نوع من أنواع الأشياء كالإنسان و الفرس و النخلة و غير ذلك من الأعيان و صفاتها و آثارها و أفعالها مقدورات في التقدير غير متناهية عددا لا يخرج منها دائما من التقدير و الفرض إلى التحقق و الفعلية إلا قدر معلوم و عدد معين محدود.

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• و على هذا **فالمراد** من كل شيء نوعه لا شخصه كالإنسان مثلا لا كزيد و عمرو، و **المراد** من القدر المعلوم الكمية المعينة من الأفراد و **المراد** من وجود خزائنه و وجوده في خزائنه وجوده بحسب التقدير لا بحسب التحقق فيرجع إلى نوع من التشبيه و المجاز.

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• وأنت خير بأن **فيه** تخصيصاً للشيء من غير مخصص، و **فيه** قصر للقدر في العدد من غير دليل، و القدر في اللغة قريب المعنى من الحد و هو المفهوم من سياق قوله تعالى: «قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا»: الطلاق: ٣ و قوله: «وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ»: الرعد: ٨ و قوله: «إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ»: القمر: ٤٩ و قوله: «وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا»: الفرقان: ٢ إلى غير ذلك.

• و **فيه** إرجاع الكلام إلى معنى مجازى استعارى من غير موجب مع ما **فيه** من ورود الخزائن بصيغة الجمع من غير نكتة ظاهرة.

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• و ذكر بعض معاصري المفسرين وجها آخر و هو أن المراد **بالخزائن** العناصر المختلفة التي تتألف منها الأرزاق و غيرها و قد أعد الله منها في عالمنا المشهود كمية عظيمة لا تنفذ بعروض التركيب و الأسباب الكلية التي تعمل في تركيب المركبات كالضوء و الحرارة و الرياح الدائمة المنظمة و غيرها التي تتكون منها الأشياء مما يحتاج إليه الإنسان في إدامة حياته

و غيره.

الميزان في تفسير القرآن، ج ١٢، ص: ١٤١

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

- فكل من هذه الأشياء مدخرة بأجزائها و القوى الفعالة فيها فى تلك الخزائن غير القابلة للنفاذ من جهة عظمة مقداره و من جهة ما يعود إليه من الأجزاء الجديدة بانحلال تركيب المركبات بموت أو فساد و رجوعها إلى عناصرها الأولية كالنبات يفسد و الحيوان يموت فيعود عناصرها بانحلال التركيب إلى مقارها و يتسع بذلك المكان لكيثونة نبات و حيوان آخر يخلفان سلفهما.

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• فالضوء و خاصة ضوء الشمس الذى يعمل الليل و النهار و الفصول الأربعة و يربى النبات و الحيوان و سائر المركبات و يسوقها إلى غاياتها و مقاصدها من خزائن الله تعالى و الرياح التى تلقح النبات و تسوق السحب و تنقل الأهوية من مكان إلى مكان و تدفع فاسد الهواء و تجرى السفن خزانه أخرى، و الماء النازل من السماء الذى تحتاج إليه المركبات ذوات الحياة فى كينونتها و بقائها خزانه أخرى، و كذلك العناصر البسيطة التى تتركب منها المركبات كل منها خزانه تنزل من مجموعها أو من عدة منها الأشياء المركبة، و لا ينزل قط إلا عدد معلوم من كل نوع من غير أن تنفذ به الخزائن.

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• و على هذا فمراد الآية بالشىء هو نوعه لا شخصه كما تقدم فى الوجه الأول و المراد بخزائنه مجموع ما فى الكون من أصوله و عناصره و أسبابه العامة المادية و مجموع الشىء موجود فى مجموع خزائنه لا فى كل واحد منها و المراد بنزوله بقدر معلوم كينونة عدد محدود منه فى كل حين من غير أن يستوفى عدد جميع ما فى خزائنه.

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• وهذا وجه حسن في نفسه تؤيده الأبحاث العلمية عن كينونة هذه الحوادث و تصدقه آيات كثيرة متفرقة في الكتاب العزيز كقوله في الآية التالية: «وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ» و قوله: «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ»: الأنبياء: ٣٠ و قوله: «وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ»: إبراهيم: ٣٣ و قوله: «وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»: البقرة: ١٦٤ إلى غير ذلك من الآيات.

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• **لَكِنَّ الْآيَةَ** وَ هِيَ مِنْ **آيَاتِ الْقَدْرِ** كَمَا يُعْطِيهِ سِيَاقُهَا
 تَابِي الْحَمَلِ عَلَيْهِ كَمَا تَابِي عَنْهُ **أَخْوَاتُهَا** وَ كَيْفَ يَحْمَلُ
 عَلَيْهِ قَوْلُهُ: «وَوَخَّلِقْ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْرُهُ تَقْدِيرًا»؟: الْفَرْقَانُ:
 ٢ وَ قَوْلُهُ: «الَّذِي خَلَقَ فِيسْوَى وَ الَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى»:،
 الْأَعْلَى: ٣ وَ قَوْلُهُ: «وَكُلِّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمَقْدَارٍ»،: الرَّعْدُ:
 ٨ وَ قَوْلُهُ: «إِلَّا أَمْرَاتِهِ قَدَرْنَا بِهَا مِنْ الْغَابِرِينَ»،: النَّمْلِ:
 ٥٧ وَ قَوْلُهُ: «مَنْ أَى شَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ نَطْفَةٍ خَلَقْتَهُ
 فَقَدْرَهُ»،: عَبَسَ: ١٩ وَ قَوْلُهُ: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»
 إِلَى آخِرِ السُّورَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

- على أنه يرد عليه بعض ما أُورد على الوجهين السابقين كتخصيص عموم «شيء» من غير مخصص و غير ذلك.
- و الذي يعطيه **التدبر** في الآية و ما يناظرها من الآيات الكريمة أنها من **غرر كلامه تعالى** تبين ما هو أدق مسلكا و أبعد غورا مما فسروها به و هو **ظهور الأشياء بالقدر و الأصل الذي لها قبل إحاطته بها و اشتماله عليها***.
- * أي أصالة الوجود بالمعنى الذي عرف في الحكمة المتعالية (مهدى الهادوى الطهراني)

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• و ذلك أن ظاهر قوله: «وإن من شيء» على ما به من العموم بسبب وقوعه في سياق النفي مع تأكيده بمن، كل ما يصدق عليه أنه شيء من دون أن يخرج منه إلا ما يخرج منه نفس السياق و هو ما تدل عليه لفظه «نا» و «عند» و «خزائن» و ما عدا ذلك مما يرى و لا يرى مشمول للعام.*

• * فموضوع الآية يشمل الممكنات كلها و لا يشمل الواجب تعالى (مهدى الهادوى الطهرانى)

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• فـشخص زيد مثلاً و هو فرد إنسانى من الشىء و نوع من الإنسان أيضاً الموجود فى الخارج بأفراده من الشىء و الآية تثبت لذلك خزائن عند الله سبحانه فلننظر ما معنى كون زيد مثلاً له خزائن عند الله؟.

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• و الذى يسهل الأمر فيه أنه تعالى يعد هذا الشيء المذكور نازلاً من عنده و النزول يستدعى علواً و سفلاً و رفعةً و خفضةً و سماءً و أرضاً مثلاً و لم ينزل زيد المخلوق مثلاً من مكان عال إلى آخر سافل بشهادة العيان فليس المراد بإنزاله إلا خلقه لكنه ذو صفة يصدق عليه النزول بسببها، و نظير الآية قوله تعالى: «وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ»: الزمر: ٦ و قوله: «وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ»: الحديد: ٢٥. ❀

• ❀ فتدل الآية على مراتب الوجود (مهدى الهادوى الطهرانى)

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

- ثم قوله: «و ما ننزلهُ إلا بقدر معلوم» يقرن **النزول** و هو **الخلق** بالقدر قرنا لازما غير جائز الانفكاك لمكان الحصر، و الباء إما للسببية أو الآلة أو المصاحبة و المال واحد فكينونة زيد و ظهوره بالوجود إنما هو بماله من القدر المعلوم **فوجوده محدود لا محالة**، كيف؟ و هو تعالى يقول: «إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ»،: حم السجدة: ٥٤ و لو لم يكن محدودا لم يكن محاطا له تعالى فمن المحال أن يحاط بما لا حد له و لا نهاية. *

- * فكل ممكن وجوده محدود (مهدي الهادوي الطهراني)

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• و هذا القدر هو الذى بسببه يتعين الشيء و يتميز من غيره
 ففى زيد مثلا شىء به يتميز من عمرو و غيره من أفراد
 الإنسان و يتميز من الفرس و البقر و الأرض و السماء و
 يجوز لنا به أن نقول ليس هو بعمرو و لا بالفرس و البقر و
 الأرض و السماء و لو لا هذا الحد لكان هو هى و ارتفع
 التمييز. *

• * فالماهية منتزعة من حد الوجود و هذا هو أصالة الوجود
 و اعتبارية الماهية (مهدى الهادوى الطهرانى)

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• وكذلك ما عنده من القوى والآثار والأعمال محدودة مقدرة فليس إبصاره مثلا إبصارا مطلقا في كل حال و في كل زمان و في كل مكان و لكل شيء و بكل عضو مثلا بل إبصار في حال و زمان و مكان خاص و لشيء خاص و بعضو خاص و على شرائط خاصة، و لو كان إبصارا مطلقا لأحاط بكل إبصار خاص و كان الجميع له و نظيره الكلام في سائر ما يعود إليه من خصائص وجوده و توابعه فافهم ذلك.

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• و من هنا يظهر أن **القدر خصوصية وجود الشيء و كيفية خلقته كما** يستفاد أيضا من قوله تعالى: «الَّذِي خَلَقَ فِسْوَىٰ وَإِلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ»: الأعلى: ٣ و قوله: «الَّذِي أُعْطِيَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ» طه - ٢٥ فإن الآية الأولى رتبت الهداية و هي الدلالة على مقاصد الوجود على خلق الشيء و تسويته و تقديره، و الآية الثانية رتبتها على إعطائه ما يختص به من الخلق، و لازم ذلك - على ما يعطيه سياق الآيتين - كون **قدر الشيء خصوصية خلقه غير الخارجة عنه**.*

• * فالماهية منتزعة من حد الوجود و هذا هو أصالة الوجود و اعتبارية الماهية (مهدى الهادوى الطهراني)

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• ثم إنه تعالى وصف قدر كل شيء بأنه معلوم إذ قال: «وَمَا نَنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» و يفيد بحسب سياق الكلام أن هذا القدر معلوم له حينما ينزل الشيء و لما يتم نزوله و يظهر وجوده فهو معلوم القدر معينة قبل إيجاده،

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• و إليه يؤول معنى قوله: «و كلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمَقْدَارٍ»: الرعد: ٨ فَإِنْ ظَاهِرُ الْآيَةِ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِمَا لَهُ مِنَ الْمَقْدَارِ حَاضِرٌ عِنْدَهُ مَعْلُومٌ لَهُ فَقَوْلُهُ هُنَا: «عِنْدَهُ بِمَقْدَارٍ» فِي مَعْنَى قَوْلِهِ هَاهُنَا «بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» وَ نَظِيرَ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: «قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا»: الطلاق: ٣ أَيْ قَدْرًا لَا يَتَجَاوَزُهُ مَعِينًا غَيْرَ مَبْهُمٍ مَعْلُومًا غَيْرَ مَجْهُولٍ وَ بِالْجُمْلَةِ **لِلْقَدْرِ تَقْدِيمٌ عَلَى الشَّيْءِ بِحَسَبِ الْعِلْمِ وَ الْمَشِيئَةِ وَ إِنْ كَانَ مَقَارِنًا لَهُ غَيْرَ مَنْفَكٍ عَنْهُ فِي وَجُودِهِ.**

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

- ثم إنه تعالى أثبت بقوله: «عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نَنْزِلُهُ» إلخ، للشيء عنده **قبل نزوله** إلى هذه النشأة و استقراره فيها **خزائن**، و جعل **القدر متأخرا عنها ملازما لنزوله** فالشيء و هو في هذه الخزائن غير مقدر بقدر و لا محدود بحد و هو مع ذلك هو*.
- * قاعدة و حدة الكثير و الواحد في مرتبته تعالى (مهدى الهادوي الطهراني)

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• وقد جمع في تعريف هذه الخزائن بين كونها فوق القدر الذي يلحق الشيء و بين كونها خزائن فوق الواحدة و الاثنتين، و من المعلوم أن العدد لا يلحق إلا الشيء المحدود و أن هذه الخزائن لو لم تكن محدودة متميزة بعضها من بعض كانت واحدة البتة.

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• و من هنا يتبين أن هذه الخزائن بعضها فوق بعض و كل ما هو عال منها غير محدود بحد ما هو دان غير مقدر بقدره و مجموعها غير محدود بالحد الذي يلحق الشيء و هو في هذه النشأة،

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• ولا يبعد أن يكون التعبير بالتنزيل الدال على نوع من التدرج في قوله: «وَمَا نُنزِلُهُ» إشارة إلى كونه يطوى في نزوله مرحلة بعد مرحلة و كلما ورد مرحلة طراه من القدر أمر جديد لم يكن قبل حتى إذا وقع في الأخرى أحاط به القدر من كل جانب قال تعالى: «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً»: الدهر: ١ **فَقَدْ كَانَ الْإِنْسَانَ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً.**

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• **و هذه الخزائن جميعا فوق عالمنا المشهود** لأنه تعالى وصفها بأنها عنده و قد أخبرنا بقوله: «ما عندكم ينفد و ما عند الله باق» أن **ما عنده ثابت لا يزول و لا يتغير عما هو عليه فهذه الخزائن كائنه ما كانت أمور ثابتة غير زائلة و لا متغيرة، و الأشياء في هذه النشأة المادية المحسوسة متغيرة فانية لا ثابتة و لا باقية فهذه الخزائن الإلهية فوق عالمنا المشهود.**

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• هذا ما يعطيه التدبير في الآية الكريمة و هو و إن كان لا يخلو من دقة و غموض يعضل على بادئ الفهم لكنك لو أمعنت في التدبير و بذلت في ذلك بعض جهدك استنار لك و وجدته من واضحات كلامه إن شاء الله تعالى

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• و على من لم يتيسر له قبوله أن يعتمد
الوجه الثالث المتقدم فهو أحسن الوجوه
الثلاثة المتقدمة و الله ولى الهداية و
سرجع إلى بحث القدر فى كلام مستقل
يختص به إن شاء الله فى موضع يناسبه.

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

• أَيْ: مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ إِلَّا لَهُ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

فِي عَالَمِ الْقَضَاءِ أَوْلَا بَارْتِسَامِ صُورَتِهِ فِي أُمَّ
الْكِتَابِ الَّذِي هُوَ الْعَقْلُ الْكُلِّيُّ عَلَى الْوَجْهِ الْكُلِّيِّ،

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

- ثم خزانه أخرى في **عالم النفس الكلية** و هو اللوح المحفوظ بارتسام صورته فيه متعلقا بأسبابه،
- ثم خزانه أخرى بل خزائن في **النفوس الجزئية السماوية** المعبر عنها بسماء الدنيا و **لوح القدر** بارتسام صورته فيها جزئية مقدره بمقدارها و شكلها و وضعها

وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ

• وَمَا نُنزِلُهُ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ إِلَّا بِقَدَرٍ
مَعْلُومٍ مِنْ شَكْلِ وَ قَدْرِ وَ وَضْعٍ وَ
وَقْتٍ وَ مَحَلِّ مَعِينَةٍ وَ اسْتِعْدَادٍ مَخْتَصٍّ
بِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ.

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ

• وبالجملة الجميع أنوار محضة عقلية، إلا انها بعضهم المهيمون - وهم الأعلون - وبعضهم الأذنين في الصف الأخير، وهم أنوار قاهرة فيما تحتها من النفوس و الأجرام بتأثير الله تعالى، و قاهريتها صورة صفة قاهرية الله تعالى و جباريته، كما أن نوريتها من سبحات وجهه و جماله تعالى،

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ

• و بهذه الاعتبار يسمى «الملائكة المقربين» و عالمها عالم القدرة، و عالم الجبروت، إذ يفيض فيها صور الأشياء و حقائقها بإفاضة الحق سبحانه و كذا يفيض عنها صفاتها و كمالاتها التي بها يجبر نقصاناتها، فعلم أن جميع الحقائق بأعيانها و كمالاتها منتقشة فيها، و بهذا الاعتبار يسمى «عقولا».

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ

• وذلك الانتقاش هو صورة القضاء الإلهي، فالقضاء عبارة عن ثبوت صور جميع الأشياء في العالم العقلي على الوجه الكلي، و محله عالم الجبروت لتقدسه تعالى عن شوب الكثرة، و هو المسمى «بام الكتاب» (١٥٣) الذي أشار إليه قوله تعالى: يمحوا الله ما يشاء و يثبت و عنده ام الكتاب [١٣ / ٣٩].

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ

• وكل ما يفيض علينا من العلوم الحقّة موسومة بالعلوم اللدنيّة يفيض عنه كما قال تعالى: اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ [٩٦ / ٣ - ٤] و تلك الجواهر خزائن غيبه كما قال: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ [١٥ / ٢١].

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ

- و كما ان العالم الروحاني بجوهره المجرد محل القضاء، **فالعالم النفساني بجرمه السماوي محل القدر**، إذ الصور العقلية الكلية في عالم القضاء في غاية الصفاء و الوحدة لا يتراءى و لا يتمثل لغيرها لشدة نوريتها كمرآة مضيئة ترد البصر عن إدراك ما فيها من الصور بشعاعها،

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ

• فينتسخ تلك الصور منه في النفس الناطقة (١٥٤) الكلية التي هي قلب العالم، كما ينتسخ بالقلم في اللوح (١٥٥) صوراً معلومةً مضبوطةً منوطةً بعقلها و أسبابها على وجه كلي، كما يظهر في قلوبنا عند استحضارنا للمعلومات الكلية كالصور النوعية - مثلاً - و كبريات القياس عند الطلب للرأى الجزئى المنبعت عنه العزم على الفعل، و هو «اللوح المحفوظ» و محل القضاء لانضباط تلك الصور فيها و انحفاظها عن التغير و الزوال.

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ

• ثم ينتقش منه في النفوس الحيوانية الجزئية السماوية، التي هي قوى نفوسها الناطقة، منبعثة منها، منطبعة في أجرامها نقوشا جزئية مشخصة بأشكال و هيئات معينة، مقارنة لأوقات معينة مقدرة لمقادير و أوضاع معينة من لواحق المادة - على ما يظهر في الخارج - كما ينتقش في قوتنا الخيالية المعلومات الجزئية كالصور الشخصية و صغريات القياس مثلا، ليحصل بانضمامها إلى تلك الكبريات رأى جزئى ينبعث عنه القصد الجازم إلى الفعل المعين، فيجب عنه ذلك الفعل بعينه، و ذلك العالم هو «لوح القدر».

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ

• «فالقدر» عبارة عن حصول جميع الموجودات في العالم النفسى على الوجه الجزئى، مطابقة لما فى المواد الخارجية، مستندة إلى أسبابها، واجبة بها، لازمة لأوقاتها. و عالمه: «عالم المثال»، لأنه خيال العالم و سماء الدنيا التى تنزل إليها الكائنات أولاً من غيب الغيوب، ثم يظهر فى عالم الشهادة- كما ورد فى الحديث- و تلك النفوس من قوى نفوسه الناطقة بمتابئة قوانا الخيالية من نفوسنا، و كل منها «كتاب مبين» كما أشير إليه بقوله تعالى: وَ لَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَ لَا رَطْبٌ وَ لَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَّبِينٍ [٥٩ / ٦]. و قوله: مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَ يَعْلَمُ مُسْتَقْرَّهَا وَ مُسْتَوْدَعَهَا كُلِّ فِي كِتَابٍ مَّبِينٍ [١١ / ٦].

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ

- و حصول تلك الصور المعينة المقيدة بوقتها المعين هو «قدر الشيء» المعين الخارجى كما قال: وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ [١٥ / ٢١] و محل هذا القدر هو الهيولى الاولى، التى هى بعينها «لوح ذلك القدر» الذى محله الملكوت العمالة بإذن الله، كما أن محل القدر و لوح القضاء هو «العالم النفسى» و محل القضاء هو «عالم الجبروت».

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ

و هذه التي ذكرناها جملةً يحتاج إلى التفصيل و التدقيق في غير هذا الموقف، و قد فصلناها و بسطنا القول فيها و في نظائرها من المقاصد الربوبيات في كتابنا الكبير المسمى ب «الأسفار الأربعة».